

كتاب

شرح القواعد الأربع

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

(رحمه الله)

بشرح الشيخ

محمد بن هادي المدخلي

من عمل فريق التفريغ في شبكة الإمام البر بهاري

ترجمة الشيخ الفاضل

محمد ابن هادي المدخلي - حفظه الله تعالى -

فضيلة الشيخ الدكتور محمد ابن هادي المدخلي

عضو هيئة التدريس بكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية

تخرج فضيلته في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في عام ١٤٠٨ هـ

وحصل على الماجستير من الجامعة الإسلامية عام ١٤١٤ هـ

وكان عنوان الرسالة " : ما سكت عنه الإمام أبو داود مما في إسناده ضعف "

وحصل على تقدير ممتاز مع التوصية بالطبع

وحصل على الدكتوراه في عام ١٤٢٧ هـ

مع مرتبة الشرف الأولى

وكان عنوانها " : زوائد الإمام أبي داود على الأصول الثمانية : جمع ودراسة "

كما تتلمذ على نخبة من العلماء البارزين منهم:

- والده الشيخ هادي المدخلي
- والشيخ العلامة عبد العزيز ابن باز - رحمه الله - خلال دراسته في جامعة الإمام
- والشيخ العلامة أحمد ابن يحيى النجمي - رحمه الله - وله منه إجازة بمروياته
- والشيخ زيد ابن محمد المدخلي - رحمه الله - وله منه إجازة

- والشيخ حماد ابن محمد الأنصاري - رحمه الله - وله منه إجازة أيضاً

وعدد من المشايخ الآخرين

ولفضيلته مجموعة من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة .

كما أن له جهوداً معروفة في مجال التعليم والدعوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الأوقات محسوبة علينا - معشر الإخوة والأبناء- ، وأعظم ما أنفقت فيه الأوقات طاعة الله -تبارك وتعالى- ، وطاعة الله -تبارك وتعالى- لا يمكن أن تكون على مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسول الله ﷺ إلا بالتعلم ، فإن هذا العلم هو الذي يهتدي به المهتدون إلى الله - تبارك وتعالى- ، ولأجل ذلك بدأ الله -جل وعلى- به في قوله لرسوله ﷺ ﴿ قَاعِلَةٌ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] ،

وبوب عليه البخاري - كما نسمع كثيراً من الواعظين والمذكرين والمفتين من أهل العلم والخير والذكر جزاهم الله خيراً بقوله -رحمه الله- "باب : العلم قبل القول والعمل " ، لأنه لا يمكن أن يُثَبَّت العمل إلا بالعلم ، فالعمل هو ثمرة هذا العلم فإذا وُجد العلم استقام العمل وصح بإذن الله - تبارك وتعالى- لأن هذا العلم يدل الإنسان على شرطي القبول في الأعمال : (الإخلاص والمتابعة) ، الإخلاص لله -تبارك وتعالى- والمتابعة لرسوله ﷺ ، ومادام الأمر كذلك فأفضل ما

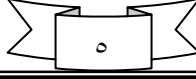
أنفقت فيه الأوقات من الطاعات تعلم العلم ، فحلق العلم ومجالس العلم هي أشرف المجالس ، تحفها الملائكة وتزل عليها السكينة وتغشاها الرحمة ويذكر الله - سبحانه وتعالى - أهلها فيمن عنده في الملاء الأعلى ، العلوم الشرعية في هذا الزمان الناس بحاجة إليها لاسيما في وقت تكالبت فيه الأمم على أمة محمد ﷺ وغلبت العواطف على كثير من المسلمين حتى أصبح بعضهم يعمل على غير علم فكان ثمرة عمله على غير ما يقصد ، كما قيل :

رام نفعاً فضر من غير قصد... ومن البر ما يكون عقوقاً^(١)

فهذا المجلس وأمثاله التي نتدارس فيها وتذاكر فيها العلم هو خير المجالس ، وكما سمعنا من أئمتنا فضيلة الشيخ محمد أبن رمزان الهاجري - جزاه الله خيراً - أن التدارس والتذاكر في هاتين الرسلتين المختصرتين وكلاهما في الأصول - وهذا من لطيف الموافقات - فيما يصح العمل من حيث الإخلاص ألا وهي "القواعد الأربع" ، وهو توحيد الله - تبارك وتعالى - ، أن يكون العمل خالصاً لله - جل وعلا - ، والثانية^(٢) فيما يصح العمل من حيث القصد والإتباع للنبي ﷺ ، فهذه في أصول الدين ، "القواعد الأربع" في التوحيد الذي ينافيه أو ينافي كماله الشرك ، وهذه في أصول العمل ، فإن العمل إذا أُخلص فيه لله لا بد أن يكون صواباً على سنة رسول الله ﷺ ، ولا يمكن أن يكون العمل صواباً إلا بمعرفة ما جاء به هذا النبي ﷺ وأتباعه عليه الصلاة والسلام ، ولهذا شرع

(١) الببت منسوب للإمام الشافعي - رحمه الله -.

(٢) يقصد - حفظه الله - متن "نخبة الفكر".



لطالب العلم أن يتعلم علوم الحديث لأنه بذلك يعرف ما يصح عن رسول الله ﷺ ، قال شيخ
شيوخنا في وصيته لطالب الحديث:

واقراً كتاباً يفيد الاصطلاح به... تدري الصحيح من الموصوف بالسقم

يعني كتاب في المصطلح ، ثمرته: تدري الصحيح من الموصوف بالسقم ، تعرف الصحيح فتعمل به
والضعيف فتجنبه ، وهذا لا بد منه لكل من أراد موافقة النبي ﷺ

فَسُنَّةُ النَّبِيِّ وَحْيٌ ثَانٍ ... عَلَيْهِمَا قَدْ أُطْلِقَ الْوَحْيَانِ

وَإِنَّمَا طَرِيقُهَا الرَّوَايَةُ ... فَافْتَقَرَ الرَّاوي إِلَى الدَّرَايَةِ

لِصِحَّةِ الْمَرْوِيِّ عَنِ الرَّسُولِ ... لِيَعْلَمَ الْمَرْدُودَ مِنْ مَقْبُولِ

لَا سِيَّامًا عِنْدَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ ... وَلَبَسَ إِفْكَ الْمُحَدِّثِينَ بِالسُّنَنِ

فَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَئِمَّةَ ... بِنَصْرَةِ^(٣) الدِّينِ وَنُصْحِ الْأُمَّةِ

وَمِيزُوا^(٤) صَحِيحَهَا مِنْ مُفْتَرَى ... حَتَّى صَفَتْ نَقِيَّةً كَمَا تَرَى

ثُمَّ إِلَيْهَا قَرَّبُوا الْوُصُولَا ... لِغَيْرِهِمْ فَأَصْلُوا أَصُولَا

وَلَقَّبُوا ذَاكَ بِعِلْمِ الْمُصْطَلَحِ ... حَيْثُ عَلَيْهَا الْكُلُّ مِنْهُمْ إِصْطَلَحَ^(٥)

(٣) في " اللؤلؤ المكنون " : ...بخدمه.

(٤) في " اللؤلؤ المكنون...: "وَحَلَّصُوا.

(٥) "اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمؤتون"، للعلامة حافظ بن أحمد الحكيم رحمه الله تعالى.

فلا بد من هذا ، وهذا من طريف الموافقات ، إذ هذا في الأصول العقديّة العلمية الخبرية التي جاء بها رسول الله ﷺ ، وهذا في أصول العلم التي يُعرف بها ما يصح عن رسول الله ﷺ ، وإن شئت قل هذا في أصول الدين وهذا في فروع ، هذا الطريق إلى تصحيح الأصول معرفته ، وهذا معرفته الطريق إلى تصحيح الفروع لأن ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))^(٦) ، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((رب حامل فقهٍ ليس بفقيه ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه))^(٧) ، فلا بد من معرفة ذلك ، ونستعين بالله - سبحانه وتعالى - ونطلبه التوفيق والسداد مبتدئين بقراءة الأول من الكتابين أو أولى هاتين الرسالتين ألا وهي "الأربع القواعد" أو "القواعد الأربع" لشيخ الإسلام الإمام المجدد المجاهد في ذات الله - تبارك وتعالى - محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ورضي عنه وأجزل له الأجر والثواب وجزاه عنا خير ما جرى به مصلحاً عن أمته وأدخله الجنة بغير حساب.

(٦) متفق عليه: البخاري (رقم: ٧١ و ٣١٦ و ٧٣١٢)، ومسلم (رقم: ١٧١٩ و ١٧٢١ و ٣٥٤٩) عن معاوية رضي الله عنه.

(٧) صحيح: أخرجه أحمد ١٨٣/٥ و ٢١٩٢٣ و ٢١٩٢٤ و ٢١٩٢٥ و ٢١٩٢٦ و ٢١٩٢٧. و"الدارمي" ٢٢٩. و"أبو داود" ٣٦٦٠. و"الترمذي" ٢٦٥٦. و"ابن ماجه" ٤١٠٥.. و"النسائي" ، في "الكبرى" ٥٨١٧. من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه. وصححه العلامة الألباني - رحمه الله - في "السلسلة الصحيحة" (١ / ٦٨٩) .

المتن:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه والعاقبة لمن اتقى
وخاف الله.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في "الأربع القواعد:"

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركاً أينما
كنت ، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء
الثلاث عنوان السعادة.

الشرح:

الحمد لله ، استفتح المصنف - رحمه الله تعالى - كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز فإنه مفتتح
بسورة الفاتحة وأولها البسملة وكذلك سورة البقرة وبقية السور كلها مستفتحة بالبسملة ،
وببسملة عندي على الصحيح آية من آيات الفاتحة ، قال شيخ شيوخنا :

ثم اقرأ أم الكتاب إنها ... بالنص لا تجزي صلاة دونها

فرض على الإمام والمنفرد ... محتم واختلفوا في المقتدي

والنص فيه وارد فهو السبب ... فكيف لا يناله يا للعجب

وهي من الآيات سبع مكمّله ... وهي المثاني السبع ثم البسملة

واحدة منها بلا تردد^(٨) ..

فهذا الذي يترجح عندي ، والمسألة معروف الخلاف فيها .

فابتدأ المصنف - رحمه الله - كتابه واستفتحه بالبسملة تبركاً بهذا واقتداء بكتاب الله العزيز وبالنبي

ﷺ فإنه كان يفتح كتبه إلى الملوك بـ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

ثم تلطّف - رحمه الله تعالى - وتقرب إلى قارئ هذه الرسالة وتودّد إليه بالدعاء له بأن يتولاه الله

-تبارك وتعالى- في الدنيا والآخرة ، في الدنيا بحفظه ، وفي الدار الآخرة بإدخاله دار كرامته

﴿ إِنهَا وَلِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦] ، فأسأل الله - جل وعلا -

أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء .

ثم دعا له بأن يكون مباركاً ، وإذا بارك الله عبداً وطرح فيه البركة فقد جاءه الخير كله كما قال

-جل وعلا- في بعض أنبيائه ورسله ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ

(٨) "السل السوية لفقہ السنن المروية" أبواب صفة الصلاة :باب افتتاح الصلاة والعمل في القيام.

لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ ﴿ [الصفات: ١١٣] ، وقال -جل وعلا- ﴿ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿ [هود: ٧٣] ، فالتبي صلى الله عليه وسلم مبارك وهو أكثر الخلق بركة لعموم نفعه ، فإذا

باركك الله يا أيها العبد جعل فيك النفع الكثير لنفسك أولاً ولعموم الناس ثانياً ، فالمصنف -رحمه الله- دعا للمخاطب -وهو القارئ- أن يجعله الله مباركاً أينما كان.

ثم دعا له بصفة أخرى وبأمر آخر وهو أن يجعله ممن اجتمعت فيه صفات ثلاث:

الأولى: إذا أعطي شكر ، والشكر لله -تبارك وتعالى- على النعم رأس الحمد والثناء ، فمن شكر

الله فقد أدى حق نعمته عليه ، والله -سبحانه وتعالى- قد أمرنا بذلك فقال ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿ [البقرة: ١٥٢] ، فصد الشكر الكفر ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في

حديث أنسٍ وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم - وجاء أيضاً من حديث عائشة - ((من صنع

إليكم معروفاً فكافئوه))^(٩) ، ويقول عليه الصلاة والسلام: ((من صنع إليهم معروفاً)) - أو: ((أولي

معروفاً" في اللفظ الآخر- فذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره))^(١٠) ، فالله -سبحانه

(٩) صحيح : أخرجه أحمد (٢ / ٦٨ ، ٩٩ ، ١٢٧) وكذا البخاري في "الأدب المفرد" (٢١٦) " وأبو داود (١٦٧٢ ، ٥١٠٩) واللفظ له

. والنسائي (١ / ٣٥٨) وابن حبان في "صحيحه" (رقم ٢٠٧١) والحاكم (١ / ٤١٢ ، ٤١٣) والبيهقي (٤ / ١٩٩) وأحمد

(٢ / ٦٨ ، ٩٩) وأبو نعيم في "الحلية" (٥٦/٩) من طرق عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر مرفوعاً . وصححه العلامة الألباني -

رحمه الله- في إرواء الغليل (٦٠/٦) . و الصحيحه برقم (٢٥٤) وصحيح الأدب المفرد برقم (٢١٦/١٥٨) .

(١٠) قال الإمام الألباني رحمه الله. في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ١٨١ :

أخرجه أبو داود (٤٨١٣) من طريق بشر حدثنا عمارة بن غزية قال : حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى

والثانية: الصبر على البلاء ، والشكر أشق من الصبر على البلاء وذلك لأن النعم تفتن فتلهي ، فمن قام بالشكر فقد جمع بين الذكر والشكر ، ذكر المنعم - جل وعلا- وشكره على نعمه -تبارك وتعالى- ، والصبر على البلاء من صفات عباد الله المؤمنين وقد خاطب الله - سبحانه وتعالى- بذلك نبيه ﷺ حينما ابتلي بقتل عمه أسد الله رضي الله تعالى عنه ، فقال -جل وعلا- ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] ، فالؤمن يجب عليه أن يصبر لأقدار الله وابتلائه -تبارك وتعالى- فإن صبر نال الأجر وإن كفر فاتته الخير كله ، والله - سبحانه وتعالى- لم يجعل شيئاً من الأجر باب الجزاء فيه مفتوحاً إلا في الصبر فقال جل وعز: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ، والله -جل وعلا- مع الصابرين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] ، فالواجب على العبد أن يتذكر هذا الجزاء العظيم عند الله -تبارك وتعالى- فإنه يهون عليه ويحثه على الصبر.

والصفة الثالثة التي دعا بها المصنف هي: الاستغفار عند حدوث الذنب ، وهذا من صفات عباد الله المؤمنين المراقبين ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] ، هذه الصفة ليست إلا لعباد الله المؤمنين المستغفرين بالأسحار القائمين بما يجب لله -تبارك وتعالى- عليهم فإن هم غفلوا أو قصّروا أو وقعوا فيما لا بد وأن يقع فيه بنو آدم أعقبوا ذلك بالاستغفار.

وهذه الثلاث الصفات من تحلى بها - كما قال المؤلف رحمة الله عليه - فقد اجتمعت له السعادة ، فهي عنوان السعادة ، فإنه بالصبر يعيش مطمئناً ، وبالشكر يعيش متواضعاً ، وبالاستغفار يعيش خائفاً وجللاً في وقت المهلة فيكون مبادراً إلى الطاعات ، بالشكر يتعد عن الأشر والبطر فإن العبد إذا أنعم عليه ولم يقيد هذه النعمة بالشكر تزول عنه وهذا عنوان الحمقى أما أهل الاستقامة فلا ، كلما أعطوا شكروا لله - تبارك وتعالى - ، والصبر يورثه الحياة مطمئنة ويعلم أنه لن يرد من بلاء الله وقضائه شيئاً ، ولهذا كان بعض السلف لما أصيب مصيبة عظيمة ببعض أهله وولده كان يقول: "الحمد لله على كل حال لئن ابتليت فقد عافيت ولئن أخذت فقد أعطيت فلك الحمد على كل حال" ، فيعيش حياة مطمئنة ، والاستغفار يجعله في دوام المراقبة لله - تبارك وتعالى - فهو الذي يكون في مرتبة الإحسان ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))^(١١) تسعى إليه في حياتك سعي المحسنين مراقباً إياه رغبة ورهبة مغلباً الرهبة حال الصحة والرغبة حال الضعف وقرب الأجل أو نزول المرض فإنك تخشى ، فإذا اجتمعت هذه الثلاث : شكر نعمة وصبر على ابتلاء واستغفار عن الذنوب فإن العبد يعيش سعيداً مطمئناً قريح العين راضياً بما قسم الله له راضٍ عن الله مترو عن الدنيا راغب فيما عند الله - تبارك وتعالى - .

(١١) أخرجه مسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان رقم ٨. من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المتن:

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

الشرح :

دعا المصنف هنا المرء الناظر أن يعلم بقوله (اعلم) ، وهذا الخطاب خطاب تربوي عظيم ، فإن المخاطب إذا خوطب بهذه الجملة تحفزت همته واجتمعت قواه وحضر ذهنه وأصغى قلبه وسمعه لما يلقي عليه ، فهذا أسلوب تربوي عظيم وهو مأخوذ من تربية الله لرسوله ﷺ ، فإن الله - جل وعز - قال: ﴿ وَعَلَّمَكَ لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] وقال: ﴿ فَأَعَلَّمَهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] ، فالأمر للمخاطب بأن يعلم ليس اتهاماً له بأنه جاهل وإنما اقتداءً بهذا الكتاب وبما درج عليه سلفنا الصالح ، الله - جل وعلا - يقول ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٩٨] ، فقال لنا (اعلموا) وهذا مستقر عندنا أنه - سبحانه - شديد العقاب وأنه غفور رحيم ، ومع ذلك قال (اعلموا) للاهتمام بالأمر فتقبل عليه بكتك ، فقول المصنف هنا (اعلم) فيه أسلوب تربوي عظيم وهو حفز المخاطب والسامع والقارئ بهذا الأسلوب ، وللأسف من لم يفقهه هذا أصبح يتندّر بمن يقرأ مثل هذه الكتب

بهذا الأسلوب يراه أسلوباً قديماً وأسلوباً متأخراً من العصور القديمة بل يرى بعضهم أن هذا انحطاط وللأسف ، وهذا سمعناه في بعض الأشرطة ، ويتندر بأصحاب هذه الكتب التي يقرؤونها : "ما عندهم إلا اعلم أرشدك الله لطاعته ، اعلم أرشدك الله لطاعته ، وفيه مسائل" ، وأي شيء أشرف من ذلك ؟ من العلم ومن معرفة هذه المسائل ؟ ، فما حملة على هذا إلا عدم علمه هو بما يجب أن يُعلم ، أما نحن فنحتاج من ينبهنا دائماً وأبداً بقوله لنا (اعلم) كما قال الله لرسوله ﷺ (فاعلم) وكما قال لنا ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٩٨] الآيات ، ومن نظر في كتاب الله في هذا الباب يجد كثيراً من الآيات بهذا السياق وهذا الأسلوب ، فأبي ضير على من التزم هذا الأسلوب القرآني والتوجيه النبوي الكريم ؟ ما مثل ذلك ومن يعيبه إلا كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بمن فلول من قراع الكتائب^(١٢)

ما فيهم عيب إلا أنهم شجعان ، هذا عيبهم!.

ثم قال -رحمه الله- في هذا (أرشدك الله لطاعته) وهذا أيضاً دعاء عظيم ، من أرشده الله -جل وعلا- إلى الطاعة ووفقه لذلك فقد وفق للخير كله ، من يطع الله ورسوله فهذا هو الموفق

(١٢) قال الحافظ في "الفتح" ٣٠٠/٧ .. "هذا شطر من بيت مشهور من قصيدة مشهورة للناطقة الديباني وأولها:

كليتي لهم يا أميمة ناصب...ولليل أقاسيه بطيء الكواكب

يقول فيها: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم...بمن فلول من قراع الكتائب

وهو من المدح في معرض الذم، لأن الفل في السيف نقص حسي، لكنه لما كان دليلاً على قوة ساعد صاحبه كان من جملة كماله.."

، وهؤلاء هم الذين قال النبي ﷺ فيهم حينما أخبر عن درجات أصحاب الجنة ، فقال أصحابه له -رضي الله عنهم-: " تلك الدرجات لا يبلغها إلا الأنبياء " قال: ((بلى والذي نفسي بيده ، قوم آمنوا بالله وصدقوا المرسلين))^(١٣) ، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠] ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ،

الآيات الواردة في الطاعة عظيمة ، فإذا قام العبد بطاعة الله فقد وفق للخير كله .
و(الحنيفية ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام- وهي (أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين) ، هذا تعريفها الشرعي ، وأما في اللغة فهي مأخوذة من الحنف وهو الميل ، والمراد به هنا الميل عن طريق الباطل إلى طريق الحق ، فالله - سبحانه وتعالى - قد بين ذلك في كتابه ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ ، فهذا الذي عليه إبراهيم هو الحنيفية ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ

اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ نبينا محمدا ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:

٦٧] (إذا فالحنيفية هي هذه الآية) ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (عابداً

(١٣) متفق عليه: البخاري ١٤٥/٤ (٣٢٥٦) .و "مسلم" ١٤٥/٨ (٧٢٤٦) . من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

لله غير مشرك به ، فهي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي ﴾ [١٤]

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴿ [الزمر: ١٤ - ١٥] فهذا الأمر ليس للتخيير وإنما للتهديد والتقريع

والتوبيخ ، معنى ذلك : اعبدوا ما شئتم فمرجعكم إلينا فسنجازيكم بأعمالكم ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٢٠] شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [النحل: ١٢٠ - ١٢١] الآيات ، فهذه الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له

الدين ، فإذا صليت لا يكون لأحد غير الله تبارك وتعالى ، وإذا حججت لا يكون لأحد فيه شيء

بل لله تبارك وتعالى ، إذا استعنت لا يكون إلا بالله تبارك وتعالى ، إذا توكلت إلا على الله تبارك

وتعالى ، إذا أقسمت ليس إلا بالله تبارك وتعالى ، إذا نذرت ليس إلا لله تبارك وتعالى ، وهكذا من

جميع أنواع العبادة ، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر ، وهنا استدل المصنف -

رحمه الله - على هذا بقوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ، ومن

ضمن الإنس إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وعموم الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة

والسلام ، فالحنيفية هي ملة إبراهيم وتفسيرها - كما سمعنا - إخلاص العبادة لله وحده ، قال -

جل وعلا ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: "إلا لآمرهم بعبادتي"

كما جاء ذلك عن ابن عباس ، وجاء عنه معنى (يعبدون) : يوحّدون ، نعم فهو سبحانه إنما خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه ، وقد أخذ علينا هذا ونحن في ظهر آيينا آدم في الأزل^(١٤) ..

أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر

وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره

وبعد ذا رسله قد ارسلنا ... لهم وبالحق الكتاب أنزلنا

[كي لا يكون حجة للناس بل ... لله أعلى حجة عز و جل]

فمن يصدقهم بلا شقاق ... فقد وفي بذلك الميثاق^(١٥)

وذلك الميثاق الذي أخذه الله علينا ونحن في ظهر آيينا آدم قوله -جل وعز- : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ

مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا

يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿[الاعراف: ١٧٢] ، هذا واحد: ما عندنا علم ، ﴿أَوْ

نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ ﴿[الاعراف: ١٧٣] ، يعني: فاتبعناهم على

(١٤) انقطاع في التسجيل.

(١٥) "سلم الوصول إلى علم الأصول" للعلامة حافظ الحكمي رحمه الله. والبيت الذي بين معكوفتين لم يذكره الشيخ حفظه الله.

طريقتهم ، ظننا أنها صحيحة ﴿ أَفَنُهِّلُكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، فهاتان الحجتان داخضتان عند الله -تبارك وتعالى- ، فالله -جل وعلا- ما خلق الخلق إلا ليعبدوه -سبحانه وتعالى- ويفردوه ، فهو المعبود بحق ، فهذا معنى لا إله إلا الله : لا معبود حق إلا الله تبارك وتعالى ، نعم .

المتن:

فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، [فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت ، كالحديث إذا دخل في الطهارة]. فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك بالله ، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

الشرح:

الله أكبر!، هذا التقديم لهذه القواعد بهذه الكلمات تدل على رسوخ هذا العالم في العلم -رحمة الله عليه- كلمات يسيرات لكنها في المعاني غزيرات حاوية لكثير من العلم ، (إذا عرفت أن الله

خلقك لعبادته) بعدما بين ماذا خلقنا له ، خلقنا للعبادة ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذه العبادة هي التي بعث الله بها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين- ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:

١٦٥] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:

٢٥] ، فكل الأنبياء أرسلوا بهذه العبادة التي هي التوحيد.

إذا علمت (أن العبادة لا تسمى عبادةً إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع

الطهارة) لا يمكن أن تقبل صلاة ولا تصح صلاة ولا تسمى صلاة بغير طهارة لأن الطهارة شرط

في صحة الصلاة ، فإذا لم يوجد هذا الشرط لم يصح من الإنسان فعله لهذه الصلاة ، عُدَّ المشروط

وهو قبول هذه الصلاة وصحة هذه الصلاة ، فكما أن الشرك إذا خالط هذه العبادة أفسدها فهو

في ذلك مثل الصلاة التي تصلّيها بغير طهارة ، فهذه العبادة بغير إخلاص وتوحيد لله -تبارك

وتعالى- فاسدة، ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٥ - ٦٧] الآية ،

ما قدروه حق قدره إذ أشركوا به مع قدرته العظيمة هذه ، السموات والأرض بما فيها ومن فيها

مطويات يمينه - سبحانه وتعالى - ومع ذلك يشركون به مع قدرته عليهم وهم أضعف المخلوقات ، السموات مع عظمها وما فيها ومن فيها والأرضين مع عظمها أيضاً وما فيها ومن فيها مقبوضة لله - تبارك وتعالى - مطوية يمينه ، فكيف بك يا أيها الإنسان الضعيف ؟ تعلم ذلك وتشرك بالله تبارك وتعالى ، قال فيهم ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ فهؤلاء ما قدروا الله - سبحانه وتعالى - التقدير والإحترام الواجب له - سبحانه وتعالى - عليهم إذ أشركوا به - جل وعز - ، فالشرك إذا خالط هذه العبادة فسدت كما أن عدم الطهارة مفسد للصلاة وإذا كان الأمر كذلك استوجب صاحب هذه العبادة النار ، قال الله - جل وعلا - ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] ، وقال - جل وعلا - ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠] ، وقال - جل وعلا - ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] ، فهذا مآله إلى النار مع الخالدين فيها عياداً بالله من ذلك.

إذا عرفت هذه المقدمات المهمات في هذه الكلمات اليسيرات لقيمة الإخلاص ساعدك ذلك على التخلص من الوقوع في هذه الشبكة المهلكة ، ما هي ؟ شبكة الشرك التي قال فيها ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿

[النساء: ١١٦] ، وقبلها في الآية التي بلفظها ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:

٤٨] فأعظم إثم وذنوب عصي الله به في الأرض الشرك ، أي الذنب أعظم ؟ قال ﷺ : ((أن تجعل لله نداً وهو خلقك))^(١٦) ، فهذا أعظم شيء وأعظم ذنب وأعظم معصية عصي الله بها في الأرض ، فإذا عرفت - يا عبد الله - ذلك عرفت أن الشرك محبط للعبادة فحينئذ تسعى على غير طائل ولا فائدة ، وعرفت أن هذه العبادة لا تنفعك إلا بالإخلاص لله - تبارك وتعالى - ، وعرفت أن صاحب الشرك مخلد في نار جهنم أبد الآباد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أيضاً عرفت أن الشرك لا يُغفر لصاحبه ، وما بقي دونه من بقية الذنوب والمعاصي فإنه يُرجى للعبد أن يلقى الله ويغفرها له:

كل الذنوب فإن الله يغفرها ما شيع المرء إخلاص وإيمان

إيمان بالله وإخلاص له - تبارك وتعالى - ، فإذا علم الإنسان ذلك أعانه هذا على السلامة من الوقوع في هذه الشبكة ، كيف ؟ بطلبه لأسباب النجاة ، وسبب النجاة من الوقوع في الشرك تعلم التوحيد - معشر الإخوة والأبناء - ، فهذا أول ما يجب عليك أن تتعلمه:

أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد^(١٧)

(١٦) متفق عليه: البخاري ١٤٠/١ و (٥٢٧) ٢/٨ و (٥٩٧٠) . ومسلم ٦٢/١ (١٦٥) . و ١/٦٣ (١٦٦) و (١٦٧) و (١٦٨) . (من حديث ابن مسعود رضي الله عنه).

(١٧) "سلم الوصول إلى علم الأصول" فصل في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين و بيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة و الإثبات.

هذا أول واجب عليك ، فهذه المعرفة التي تقدمت تعيينك على التخلص من الوقوع في هذه الشبكة والتخلص من الوقوع في هذه الشبكة لابد أن تعرف طريقه الذي يحول بك عن أن تقع في هذه الشبكة وفي هذه المصيدة ، هذه الطريق هي معرفة التوحيد وما يضاده بالكلية أو ينافي كماله ،

ولهذا قال - رحمه الله - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:

٤٨] ، أراد بهذه الآية أن يبين لك خطورة هذه الشبكة ، أنك إن وقعت فيها هلكت لا يُغفر لك مهما كان عملك صالحا ، تلقى الله بأعمال مثل الجبال ومثل السحاب لكن لا يشيعها إخلاص وتوحيد لله - تبارك وتعالى - فهو مردود ، ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه))^(١٨) ، وفي الرواية الأخرى أيضا في الصحيح: ((أنا خير شريك)) قال في آخرها عليه السلام عن ربه قال: ((فهو للذي أشرك))^(١٩) ، الذي لي والذي أشرك بي فيه هو له لأني غني عنه وعن عبادته التي أشرك بي فيها ، ((أنا خير شريك)) ، ((فهو للذي أشرك)) ...^(٢٠) ، الإنسان إذا علم أن الله لا يغفر له هذا الشرك ولو لقي الله - سبحانه وتعالى - بأمثال الجبال أعانه ذلك على أن يسلك طريق السلامة والنجاة ، لكن الذي يمشي أعمى وفي الليل وبدون نور يقع في هذه المصائب ﴿ ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور: ٤٠] ، فجهل وإعراض عن التعلم أولاً

ثم إعراض عن التوحيد خاصة .. تعلم التوحيد، هذه ثلاث مصائب ، فهو كالأعمى ويمشي في

(١٨) أخرجه أحمد ٣٠١/٢ (٧٩٨٦) و (٦٩٨٧) وفي ٤٣٥/٢ (٩٦١٧). ومسلم ٢٢٣/٨ (٧٥٨٤). وابن ماجة ٤٢٠٢ وابن خزيمة ٩٣٨ . . وابن حبان ٣٩٥ . كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٩) انظر التخريج السابق.

(٢٠) كلمة غير مفهومة.

الليل ولا ضوء معه ، فالعلم نور يستضاء به ، وأعظم ما يجب أن تطلب فيه السلامة في توحيدك لله -تبارك وتعالى- ، قال الله - جل وعلا- ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، فإذا خالط الشرك العبادة أفسدها - عياداً بالله من ذلك- كما قلنا في التفصيل السابق :الكبير ينقضها تماماً والصغير ينافي كما لها وصاحبه على خطر عظيم ، فنسأل الله العافية والسلامة ونسأل الله -جل وعلا- أن يعرفنا وإياكم بالطريق الذي يساعدنا على التخلص من الوقوع في هذه الشبكة ، وهذه الطريق جعل لنا فيها المصنف أربع علامات التي هي "القواعد الأربع".

المتن:

وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه...

الشرح:

نعم، (وذلك) هذا مرتبط بقوله : (لعل الله [أن] يخلصك من (الوقوع في) هذه الشبكة) ، إذا علمت هذه القواعد خلصك الله من الوقوع في هذه الشبكة التي هي شبكة الهلاك نسأل الله العافية والسلامة ، الآن يقولون شبكة الدمار شبكة الهلاك المخدرات ، هذه الشرك أشد وأعظم ، وأنتم ترون الآن الأمم برها وفاجرها مؤمنها وكافرها كيف يستنفرون لحرب المخدرات ؟ وللأسف

أهل الإيمان كثير منهم يفرط في محاربة الشرك بل أعجب من ذلك وأنكى وأشد أن يحارب من يدعو إلى التوحيد ويظهر عليهم أهل الشرك عياداً بالله من ذلك.

المتن:

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مَقْرُونُونَ بِأَن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾

الشرح:

هذه أول قاعدة وهي مهمة جداً ولنرّع لها أسماعنا لأنها الآن تردد بكثرة ويفسر التوحيد بها ، هذه القاعدة في إثبات توحيد الربوبية الذي لم ينكره حتى الكفار الأوائل .

القاعدة الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ ... فعندنا وصف حكمي وجزاء مترتب عليه .

الوصف الحكمي أنهم كفار وصفهم بالكفر ، حكم عليهم بالكفر .

الثاني : الجزاء وهو استحلال النبي ﷺ لقتالهم ، (أن تعلم أن الكفار) هؤلاء كفار (الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يعني هذا جزاؤهم) ، هذا الاسم وهذا الحكم ، الاسم كافر وحكمه محاربة هذا النوع من الناس حتى يدين دين الحق أو يعطي الجزية عن يدٍ وهو صاغر كما أمرنا الله -جل وعلا- ، فأن تعلم أن هؤلاء الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأفعال الله -جل وعز- من الخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة ، هذا يقرون به ، فإذا هل يصح أن نقول تفسير لا إله إلا الله : لا خالق إلا الله ؟ لا يصح ، هل يصح أن نقول تفسير لا إله إلا الله : لا رازق إلا الله ؟ لا يصح لأن هذا لا يُدخل الإيمان ، لا يُدخل صاحبه الإيمان أو في الإيمان ، فإن هؤلاء الكفار سماهم الله كفاراً وسماهم رسول الله ﷺ كفاراً واستحل دماءهم وأموالهم وذرايرهم مع أنهم يؤمنون بهذه الأفعال.

إذاً توحيد الربوبية هو توحيد الله بأفعاله أو أفراد الله بأفعاله ، قولوا ما شئتم تنوع العبارات والمعنى واحد ، أن تؤمن بأن الله هو الخالق الرازق المدبر الملك الحي المميت إلى غير ذلك... المتصرف في خلقه -جل وعلا- ، هذا لا يُدخل صاحبه الإسلام ، قال الله -سبحانه ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] ، خطاب لرسول الله ﷺ أن يلقيه إلى الكفار يقرأه عليهم ، من يرزقكم من السماء والأرض ؟ هذا أولاً: الرزق.

ثانياً: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾

[يونس: ٣١] ، يعني بالولادة وبالبعث فيخرج هذا الميت من ذلكم الحي ويخرج ذلكم الحي من ذلكم الميت ، يخرج الصالح من الطالح والطالح من الصالح ، كما أخرج إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- من آزر -عليه من الله ما يستحق- رأس في الشرك بالله -جل وعلا- ، وكما أخرج ابن نوح من نوح -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- ، وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي هذا مثل له ، ومثله يخرج النبات من الأرض يحييها ويخرج منها هذا الحي بعد موتها إذا أنزل عليها الماء ، هذا يعرفونه ، يقول قائلهم في الجاهلية قبل أن يبعث

رسول الله ﷺ :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذاباً زلالاً

إذا هي سقيت لأرض أطاعت إليها فأضحت عليها سجلاً

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالاً

فهم يعرفون هذا ، يعرفون لكن ذلك لم يدخلهم في الإسلام ، ثم قال الله -جل وعلا-: ﴿وَمَنْ

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ؟ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، فالذي يوجد هو الذي يدبر لأنه لا

أعلم بالموجود ممن أوجده ، لا أعلم بالمخلوق من خالقه ، فقال -جل وعز- ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾

خلق رزق إحياء إماتة، ثم ﴿وَمَنْ يُدْرِ الْأَمْرُ﴾ ؟ الجواب عندهم جميعاً ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ قال

- جل وعلا-: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يعني أفلا تتقون عذابه فتؤمنوا به ، فهذا استفهام إنكاري

، فالواجب علينا أن نعلم أن من قال إن التوحيد هو: لا خالق إلا الله ، لا رازق إلا الله ، لا محيي

إلا الله ، لا مميت إلا الله ، أن نعلم أن هذا التعريف غلط فهذا ليس هو الذي يدخل صاحبه الجنة

وينجيه من النار لأن أصحابه مقرون هؤلاء به سماهم الله كفاراً واستحل رسول الله ﷺ دماءهم

وأموالهم وذرائعهم ، قاتلهم عليه الصلاة والسلام ، فإذا الذي يقول لا إله إلا الله ويعبد غير الله

فيطوف بالقبور ويدبح للقبور ويهدي إليها القرابين والنذور فهل هذا موحد ؟ مسلم ؟ لا ، هذا

مشرك كافر وذلك لأن هذا العمل الذي عمله هو مثل قريش ، قال الله -جل وعلا- فيهم:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩] الله-جل وعلا- يقول: ﴿إِنَّمَا

يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] ، وهؤلاء يعمرون المسجد

الحرام قال الله فيهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ سقاية الحاج هذه هي

التي تميز بها بنو هاشم ، كانت في عبد المطلب ، يقول أبو طالب:

وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ

شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيِّبِينَ وَهَاشِمٌ^(٢١)

(٢١) تمامه : كَبِضَ السَّيْفُ بَيْنَ أَيْدِي الصَّبَاقِلِ. انظر "سيرة ابن هشام" ص ٢٨٠.

فالشاهد قال الله : أتجعلون السقاية وعمارة المسجد تجعلونها كمن آمن بالله واليوم الآخر لا يستوون عند الله أبداً لا يمكن.

فاذاً هذه الأعمال لا يمكن أن يسمى صاحبها مؤمناً ، فاذاً من قام به هذا العمل : الإشراف بالله - تبارك وتعالى - فإن هذه الأعمال الصالحة كلها لا تنفعه ولا يمكن أن نقول إن هذا مؤمن مادام عاكفاً على القبور ويتقرب إليها بالقرايين والنذور ويطوف عليها - والعياذ بالله - ويسجد لها ويستغيث بالمقبورين ويعتقد فيهم الضر والنفع من دون الله - تبارك وتعالى - هذا لا يمكن أن يكون ، فتفسير التوحيد أنه لا خالق لا رازق لا محيي لا مميت إلا الله هذا غير صحيح ، إنما هذا توحيد الربوبية الذي لا يدخل به صاحبه الإسلام بل هذا كانت عليه العرب الأولى الذين استحل النبي ﷺ قتلهم .

إذاً فما هو التوحيد ؟ لابد أن تعرق التوحيد الذي افترضه الله - جل وعلا - عليك .

المتن:

القاعدة الثانية : أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة فدل

القربة قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۖ

[الزمر: ٣] ، ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] .

الشرح:

هذه القاعدة الثانية مرتبة على الأولى وترتيبها ترتيب صحيح منطقي في غاية الإتقان وذلك أن الخصم إذا قال بالقول الأول وأدحضت حجته في أن هذا ليس هو بالتوحيد الذي تدعيه أنت والدليل عليه هذا الذي تقدم معنا أن كفار قريش والعرب كانوا يقرون بهذا الذي تقر به وهذا الدليل عليه من كتاب الله تبارك وتعالى ، يقول: طيب أنا ما أنا مثلهم أنا أتقرب إلى الله تبارك وتعالى بطلب الشفاعة من هؤلاء أنا ما اعبدهم أنا اطلب أن يشفعوا لي فلما انتقل و حجر في الأولى أراد أن يجد مخرجاً يخرج منه فوق في هذه الورطة الثانية فكيف المخرج منها ؟ المخرج منها بمعرفة هذا الجواب الذي سيأتينا مفصلاً ، هذا الجواب أن هؤلاء المشركين يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب الشفاعة نحن نطلب الشفاعة نحن ما نعبدهم نقول هذا الذي أيضا فررت إليه هنا وزعمت أنك تخلصت به من الأول وقعت فيه في الصورة الثانية التي عليها أهل الإشراك وهي مذكورة في كتاب الله تبارك وتعالى ، كما تقدم أن هذا النوع من التوحيد لم يدخل به أصحابه الاسلام وانكرت على من يزعم ان هذا هو التوحيد وبينت ان هذا صاحبه لا يزال مشركاً

فينتقل بك ويقول لك: انا لست كهؤلاء الذين يسجدون لغير الله وللأصنام ويدبحون للأصنام انا اطلب الشفاعة من هؤلاء ، فيحاول ان يدافع عن باطله بمثل هذه الحجة الواهية التي هي كما قال الله جل وعلا فيها وفي امثالها كبيت العنكبوت: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ

كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] ، فهي مثل بيت العنكبوت في الوهاء والضعف اضعف

ما تكون طيب ما دعواهم ونحن ما نعبدهم ولكن نحن ندعو هؤلاء طالعين منهم الشفاعة والقربى الى الله تبارك وتعالى ، فالجواب نقول له: انت انتقلت الى الحالة الثانية وهى حال الكفار تماماً لا تزال تراوح قدميك مع الكفار كيف ؟ قل خذ الدليل واعظم ما تستدل به كلام الله جل وعلا وصحيح سنه رسوله ﷺ قال الله جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعنى من

دون الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ يعنى نطلب منهم القربى الى الله تبارك وتعالى ،

اتخذوهم شفعاء ووسائط كما يزعمون فقال جل وعلا مبيناً حكمهم ومخبراً عنهم في دعواهم قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ

كَذِبٌ﴾ فاخبر انهم ليسوا صادقين بل هم اهل كذب ثم حكم بكفرهم فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فاخبر انهم كذبة وحكم بانهم كفار ، فاذاً من فعل هذا الفعل

هو كاذب وكافر ، كاذب في دعواه التي يقول انا ما عبدت وانما انا طلبت منهم ان يقربوني الى الله وانا اتشفع بهم عند الله انا ما اعبدتهم من دونه انا اعرف انهم لا ينفعون ولا يضررون ، نقول له الله قد قال في من سبقك وامثالك في العهد القديم قولاً يتلى إلى يومنا هذا ونتلو عليه هذا ثم نبين له أن الشفاعة هذه لا تطلب إلا من الله وحده تبارك وتعالى فتتلى الآيات الواردة في هذا وسيأتينا الكلام عليها حيث قال المصنف رحمه الله مستدلاً على ذلك: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ يعني لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً بل هؤلاء المدعويين كما قال عنهم في سورة الفرقان لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فهؤلاء الذين تزعم أنت ألان انك تطلب منهم التقريب الى الله تبارك وتعالى وتسألهم أن يقربوك إلى الله تبارك وتعالى نقول فعلك هذا فعل الأوليين الذين قاتلهم النبي ﷺ وحكم الله جل وعلا عليهم بما سمعت فاخبر انهم كذبة وحكم بانهم كفار ويقولون مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى ، هؤلاء لا يضررون ولا ينفعون ولا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً عن ان يكون ذلك لغيرهم ، تجد الجائي من بلد بعيد ومعه ثور او معه خروف يسوقه للسيد البدوي هذا كفر بالله تبارك وتعالى فان الذبح والتقريب لا يكون الا لله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لا شريك له، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ، قال جل وعلا للرسول ﷺ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿[الكوثر: ٢] ، أي وانحر لربك وتقدم الجار والمجرور على المفعول يدل

على الاختصاص ان هذا لا يكون الا لله تبارك وتعالى اذا يعبدون من دون الله سمي الله جل وعلا هذا الذي زعموه قري وزلفى طلب الشفاعة سماه الله هنا عبادة ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ، نحن نتقرب اليهم ليقربونا عند الله جل وعلا قال الله سبحانه ﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٨] ، يعنى انتم تخبرونه بشيء لا يعرفه ؟ هو يراكم ويسمع قولكم ويرى مكانكم ثم حكم عليهم جل وعلا بعد ان نزه نفسه عما فعلوا قال ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فسبح نفسه ونزه ذاته المقدسة عن شرك المشركين به فسامهم هنا مشركين وهناك سامهم كافرين كاذبين وحكم عليهم بالكفر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] ، وهنا قال ﴿سُبْحَنَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ اذا فطلب هذه الشفاعة التي تزعمون من هؤلاء الذين لا يملكونها لأنفسهم شرك بالله تبارك وتعالى وبيانه سيأتي في الشفاعة.

المتن:

والشفاعة شفاعتان شفاعة منفية وشفاعة مثبتة فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله .

الشرح: وهذا ما يفعله المشركون الشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله جل وعز هذا الذي يفعله المشركون قديماً وحديثاً ، الان تجد المرأة او الرجل ياتى الى المقبور الذي يزعم انه سيد او ولي او صالح بقربانه ويريد منه ان يرزقه الولد كما كان هنا عندنا في هذه البلاد قبل دعوة هذا الامام المحدد تاتي المرأة وتحوم على ذلك الجذع ، جذع لو اردت ان تقطعه ما دافع عن نفسه تضربه بفاسك فيطيح وتحوم حوله وتقول: (يا فحل الفحول اريد بعلاً قبل الحول) تقوله تريد ولد قبل الحول ونحو ذلك جذع شجرة فحل الفحول نخل لو ضربته بفاسك قطعته ما دافع عن نفسه ، وهؤلاء وصل بهم سفه العقول الى هذه الدرجة ، فهذا فيه رد على من يقول ان هذا الشرك بسيط والعقول المتنورة لا تقبله ، هذا كلام باطل يرده الواقع المشاهد المحسوس ، فانك تنظر الى كثير من الناس من هذا الصنف من من سفهوا نفوسهم تجده يعظم هؤلاء المقبورين كما قال الله جل وعلا عنهم: (يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) نسال الله العافية والسلامة لو قلت له تحلف بالله جل وعلا حلف وهو كاذب تقوله تحلف بالبدوي او بالسيد فلان او بالسيد عبد القادر ما يحلف به لانه وقع في قلبه انه سيعاقبه نسال الله العافية والسلامة وهذا موجود في كتب كبار هؤلاء القوم مطبوع بين ايدينا الان يطبع والطبعات تجدد فالامر لا ينكر

ولا ينكره الا ماحق في النقليات مباحث في العقليات نسال الله العافية والسلامة فאלله جل وعز
حكم على هؤلاء هنا بانهم مشركون فالشفاعة هذه التي لا تطلب الا من الله لانه هو الذي يقدر
عليها هم يطلبوه من غير الله تبارك وتعالى .

المتن:

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله والدليل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله والشافع مكرم
بالشفاعة والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الاذن كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ
كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

الشرح: هذه الشفاعة المنفية هي التي يطلبونها من غير الله تبارك و تعالى وهي فيما لا يقدر عليه
الا هو سبحانه وتعالى سبق انهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وسبق عنهم انهم يقولون (ما

نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فهنا الله جل وعلا يقول ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا

رَزَقْتَكُمْ ﴿[البقرة: ٢٥٤] ، يعني تقربوا الى الله جل وعلا بعمل الصالحات ومن ذلك الانفاق في

سبيله سبحانه وتعالى ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ

الظَّالِمُونَ ﴿[البقرة: ٢٥٤] ، فهذا اليوم لا فيه بيع وشراء فتفدى نفسك لو ان لك ما في الارض

ويطلب منك ان تفتدى به ذلك اليوم تقول نعم ، فيقول الله جل وعلى بلى قد طلبت منك ما هو

ايسر من ذلك ، ان تعبدني لا تشرك بي شيئاً في الدنيا لكنه ابى فهنا لا تنفع اليوم المبيعات فلا

يمكن ان تشتري نفسك من هذا العذاب ، ولا فيه خلة ما هناك خليل يقوم عن خليله محب عن

حبيبه يتحمل كما هو الحال في الدنيا فإن المرء قد يضحي عن من يحب في الدنيا ، قال أبو طالب

في حمايته للنبي ﷺ حبيت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكل ، حب على النبي

ﷺ وب نفسه قدّم ما قدّم دفاعاً عنه ﷺ وصار منبراً بينه وبين المشركين ودافع عنه بالذرا والكلاكل

، والذرا هي ذروة الشيء وأعلاه ، ذروة الجمل سنامه ، والكلاكل هي العظمان الكبيران في

الصدر فكانه يقول دافعت عنه بظهري وبصدري فهذا يوم القيامة لا يوجد خليل يدافع عن خليله

يوم القيامة بسب هذه الخلة وايضاً لا شفاعاة ما هو بكيفه يشفع وبرغبته وبشهوته وهواه فالشفاعة

هنا مقيدة بالاذن والرضى اذن الله تبارك وتعالى للشافع ورضاه عن المشفوع فهنا اخبر سبحانه

وتعالى ان هؤلاء كفار وانهم ظلمة لانهم معتدون على الله تبارك وتعالى في حق من حقوقه بل في

اخص حقوقه وهو الايمان به وحده لا شريك له حيث فرضوا هذا الامر لغيره الذي

لا يستحقه وهو طلب الشفاعة من مَنْ لا يقدر عليها ولا يملكها فالشفاعة اذاً حق لله قال الله جل

وعلا: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ﴾ [الزمر: ٤٤] ، الشفاعة حق لله تبارك وتعالى يتكرم به سبحانه وتعالى

بعد الاذن ، الشافع اذا شفع فهذا اكرام من الله تبارك وتعالى لهذا كان اعظم اكرام لرسولنا ﷺ

يوم القيامة هذا الموقف الشفاعة العظمى قال جل وعز: ﴿وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فالمقام المحمود هذا هو يوم القيامة عند الله

تبارك وتعالى حينما يتاخر جميع الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام عن هذه الشفاعة

ويعتذرون عنها وكله يقول اتي فلاناً اتي فلاناً حتى تنتهي الى محمد ﷺ فيقول انا لها انا لها ثم

يسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحمد تفتح عليه حينئذ لم يعرفها ﷺ يقول لا اعرفها الان ثم

يقول الله له يا محمد ارفع راسك وسل تعطى وقل يسمع واشفع تشفع فهذا هو اعظم ما من به

ﷺ ففي هذا اليوم يظهر فضله عليه الصلاة والسلام على جميع الخلائق وذلك لانه ﷺ في الدنيا

زاحمه اقوام ادعوا السيادة وان كان بالباطل لكن يوم القيامة يظهر من هو السيد الحق ولهذا جاء في

الحديث في الصحيح انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر ، فكيف هذه السيادة ظهرت في

الشفاعة ؟ لان السيادة في الدنيا وان كان سيداً ﷺ وسيداً في الآخرة ﷺ إلا أن المشركين وأعداءه

والمكذبين له نازعوه فيها لكن في الآخرة هل يستطيعون ان ينازعوه ؟ لا يستطيعون منازعته فهنا

كان عليه الصلاة والسلام مستحقاً لهذا الاكرام المقام المحمود فيكرمه الله تبارك وتعالى به ويفصل

بين الخلاق فيظهر فضله عليه الصلاة والسلام رغم ان من عارض في سيادته وفضله وشرفه في الدنيا من هؤلاء الكافرين فاذا الشفاعة ملك الله اعطاؤها للشافع اكرام من الله له ولا تكون الا بعد الاذن كما قال جل وعلا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ، من الذي يستطيع ان يشفع عنده

الا باذنه ، كما قال جل وعلا ﴿إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرِّضَ﴾ [النجم: ٢٦] ، فاذنه

لمن يشاء اكرام للشافع ورضاه عن المشفوع ايضا اكرام لهذا المشفوع فيه ورحمة منه تبارك وتعالى

به فهنا يقول من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، فدل هذا القول من ربنا تبارك وتعالى ان الشفاعة

لا تطلب الا من الله تبارك وتعالى ، اذا نخلص من هذه القاعدة بطلان كلام هؤلاء الى الخلاصة

الصحيحة ماذا نقول ؟ نقول: اللهم شفّع نبيك محمد ﷺ فينا فنطلب الشفاعة من الله اما ان نقول

يارسول الله اشفع لي هذا لا يجوز هذا شرك بالله اكبر لان الشفاعة ملك لله لا تطلب من احد لا

من ملك مقرب ولا من نبي مرسل قال الله جل وعلا عن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ

أَرْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، فاذا لا تطلب الا من الله فلا تطلب من

الملائكة ولا تطلب من الانبياء والرسل ولا تطلب من الصالحين والأولياء من

باب اولى ، فاذا هذه الشفاعة المنفية هؤلاء يتعمدون صرفها لغير الله تبارك وتعالى ويريدون ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ان يعطيهم اياها فحكم الله عليهم بالشرك وحكم عليهم بالكذب في دعواهم كما اخبرنا سبحانه وتعالى ، لو سالنا الان وقلنا: ان هذه الشفاعة شفاعتان: منفية ومثبتة ، هذه المنفية التي نفاها الله تبارك وتعالى عن غيره هل رسول الله ﷺ قاتل اهلها ام لا ؟ قاتلهم لماذا ؟ لانهم كفار ، واذا كان هؤلاء كفار مع اقرارهم بما تقدم مما ذكره الله سبحانه وتعالى عنهم فهل يجوز لنا ان نحكم على من شابههم بالكفر او لا يجوز ؟ من قال يجوز سأسأله لماذا ؟ ومن قال لا سأسأله لماذا ؟ لان هذا محك عندنا الان في هذا العصر يقولون انتم تكفرون الناس فنحن نحكم عليه او لا نحكم عليه ؟ نقول لهم من فعل مثل هؤلاء فهو مشرك لاشك في شركه لان القران قد صرح به ورسول الله اقر ذلك وقاتل من فعل ذلك فهذا تكفير للعموم اما فلان بعينه يفعل هذا نقول عنه مشرك خالد مخلد في النار يباح دمه وتسبى ذريته ويسبى ماله ويغنم هذا باب اخر فلينتبه الى هذا الفارق اللطيف وهو اننا اذا حكمنا على ذلك بالكفر اعيان الناس واحادهم هؤلاء يحتاجون الى توافر ما قال الله فيه: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] ، فمن شاق الله ورسوله بعد ان بينت له الهدى فهذا مشرك كافر نرفع بذلك رؤوسنا نقولها بملء أفواهنا ما الذي يمنع وقد كفر الله سادة قريش بمثل هذا بعد ما

انزل عليهم الكتاب بعث اليهم هذا الرسول ينذرهم بكل وجه ويقيم عليهم الحجج وهم أرباب
 الفصاحة والبلاغة فاستحل بعد ذلك دمائهم وأموالهم وحكم الله عليهم بالكفر واخبر بأنهم
 كاذبون ، البرزخ مهم معشر الأخوان ألان يردد على أهل التوحيد والإسلام أنهم يكفّرون وفي
 هذه الآونة بالذات جاء من يصيد أيضاً في الماء العكر ويطلق على أهل التوحيد والسنة والأيمان
 والقران إطلاق آخر أنهم إرهابيون ، تكفيريون إذا قالوا بكفر من كفره الله ورسوله انتقل بهم لان
 الناس أصبحت كلمة الإرهاب عندهم شبح فقال هؤلاء أتباع القاعدة ، فرق بين القاعدة عن الخير
 الساعية في الشر وبين أصحاب القاعدة القرآنية الذين مشوا على هذه القواعد فخلصهم الله من
 الوقوع في هذه الشبكة فنحن لا نتلكأ فيما صح عن رسولنا ﷺ وأقر به كتاب ربنا تبارك وتعالى
 ان نقول به فلا بد ان يعلم ان أهل الإيمان يُكفّرون لكن يكفّرون بحق من قامت عليه الحجة
 واستبان له المحجة وثبت عنه الشبهة فهذا ما المانع في تكفيره أما هؤلاء أصحاب القاعدة جماعة
 ما يسمى بتنظيم القاعدة جماعة اسامة بن لادن ومن معه هؤلاء على جهل على طريقة الخوارج
 يُكفّرون أهل الإيمان ويوالون أهل الاوثان ويدعون أهل الاشراك بالرحمن .

القاعدة الأولى والقاعدة الثانية مترتبة عليها لما فروا من الأولى وزعموا أنهم إنما يتشفعون هؤلاء
 نفى الله (سبحانه وتعالى) ذلك وكذبهم في دعواهم وكفرهم في فعلهم وهذا الذي نقول وختمنا
 القول قبل الصلاة عنده ان من كان بهذه المثابة لا مانع من تكفيره ، وكان جواب اخينا ان الكفر
 العمومي والحكم العام باب ، والكفر الخاص يعني إنزال فلان من الناس زيد عبيد عمرو بعينه كافر

هذا باب آخر ، فكل من فعل كذا وكذا فهو مشرك كافر ؟ نعم لكن هل يبقى فلان مشرك كافر ؟ حتى كما قلنا يجتمع فيه الأمران يتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قال الله جل وعلا:

﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] ، ولا ضير على أهل التوحيد

والأيمان كما قلت لكم من تكفير من كفره الله ورسوله ﷺ وأئمة الهدى.

وألان كما ختمنا أيضاً الكلام أصبح بعض من ضعف علمهم وقل علمهم يتبرأ من الحق ، يقول: لا مانع من التكفيرين ، ما نحن بتكفيرين بسبب هذه الفتنة التي حدثت فأصبح يتبرأ من الحق فالتكفير الذي قامت شروطه وانتفت موانعه هذا نحن ندين الله (جل وعلا) به لان من لم يكفر المشرك وشك في كفره فهو مثله هذا من النواقض نسال الله العافية والسلامة من أسباب الردة عياداً بالله من ذلك ، وللأسف وجدنا بعض من ينسب إلينا من ابنائنا يتكلم على أئمة الهدى الذين هم على هذا ويقول: ان التكفير في الدرر السنية وهذا في بعض جرائدنا وعندي لا تزال الجريدة موجودة ، لما جاءت أحداث سبتمبر ، يعني الإنسان لا يكون ضائعاً ولا يكون غالياً ، دين الله وسط بين الغالي والجافي ولهذا النبي ﷺ قال: ((إن من إكرام الله او ان من إجلال الله إجلال ذي الشبهة المسلم وإجلال ذي السلطان المقسط وحامل القرآن غير الغالي فيه وغير الجافي عنه))^(٢٢) ، فإذا دين الله وسط بين الغلو وبين الجفاء ، بين الإفراط وبين التفريط ، فهذا الذي

يجب علينا جميعاً ان نكون على الطريق الوسط الذي جاءنا به رسول الله ﷺ فلا نتبرأ من حق ولا نفر باطلاً وانما نبين هذا ونبين هذا فالنبي ﷺ لعن في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها بائعها ومشتريها وشاربها وحاملها والحاملة اليه ، الشاهد لعن شارب الخمر لما جيء به اليه وقام عليه الحد لعنه بعض الصحابة ، قال: ((لا تكونوا عوناً للشيطان على اخيكم))^(٢٣) ، وقال في رواية: ((انه يحب الله ورسوله))^(٢٤) ، وقع في المعصية فشهد له بالايمان وشهد له بحب الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام: ((لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))^(٢٥) وهنا نهي عن لعنه ﷺ ففرق بين من فعل كذا وفرق بين زيد من الناس وعبيد من الناس مشرك كافر فما كفانا أن أعداء التوحيد والسنة يكفرونا أو يرمونا بالتكفير حتى انبرى من بعض أبنائنا من يرمينا ويرمي ما كتبه أئمة الدين والهدى بان التكفير نبع منه ، فان كان لا يعلم فهذه مصيبة وان كان يعلم فالمصيبة أعظم ، نسأل الله العافية والسلامة.

المتن:

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناسٍ متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾

(٢٣) سبل السلام باب (حد الامة اذا زنت ٣/٦) .

(٢٤) الجمع بين الصحيحين باب افراد البخاري ٥٩/١ .

(٢٥) الابانة الكبرى لابن بطة باب (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) ٤٧٢/٢ .

حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ [الأنفال: ٣٩] ، ودليل الشمس والقمر

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا

لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ، ودليل

الملائكة قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۚ﴾ [آل عمران: ٨٠] ، ودليل

الأنبياء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ، ودليل الصالحين قوله

تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٧] ، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ

وَالْعُزَّىٰ ۖ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ۚ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] وحديث أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال:

((خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر، وللمشركون

سدره يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط ، فمررنا بسدره فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط... (الحديث))^(٢٦) .

الشرح: هذا الذي سمعناه يسوقه المصنف (رحمه الله تعالى) في القاعدة الثالثة وهي عدم التفريق بين هؤلاء جميعاً وانهم مشركون بالله كافرون به (سبحانه وتعالى) فهذه العبادات منهم الجامع لها جميعاً انما لغير الله ، عبادة من هؤلاء لغير الله (تبارك وتعالى) فلا فرق بين من يسجد لصنم وحجر وشجر وبين من يزعم انه يعظم الصالحين (هكذا يقول) ، والأولياء ويستشفع بهم عند الله (تبارك وتعالى) او الملائكة ويتقرب بذلك الى الله (تبارك وتعالى) فان الجميع حكمه حكم واحد ، فمن فعل ذلك مع الصالحين فحكمه كمثل من عبد الأشجار والأحجار من دون الله (تبارك وتعالى) ، ومثله مثل من يعبد الشمس والقمر والكواكب من الصابئة ، ومثله مثل من يعبد الملائكة ، ومثله من يعبد الأوثان ، فالحكم فيهم واحد والمراد من ذلك الرد على من يقول تجعلوننا مثل كفار قريش الأولين ؟ يسجدون للأصنام ويطوفون بالأصنام ويفعلون ذلك بالأصنام والأحجار ونحن موحدون ونقول لا اله الا الله وتجعلوننا مثلهم ؟ نقول له نعم ، اذا تبين الحق له وبينا له الحق وابي وعاند وكابر نقول له اسمع هذه الآيات رسول الله ﷺ هو الذي جاءنا بها ، فأنت لا ترد علينا وانما ترد على الله ورسوله ﷺ فأولاً الله (جل وعلا) امرنا ان نقاتل من فعل هذا أيأ كان فعله سواء كانت عبادته للملائكة او للأنبياء بطلب الشفاعة منهم او طلب الغوث وطلب المدد وإجابة

الدعوات وتفريج الكربات وإغاثة اللفهات ونحو ذلك أو عبد شجراً أو حجراً أو غيره قال جل

وعلا للرسول ﷺ وللمسلمين: ﴿ وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ

كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] ، يعني لا يعبد الا الله (تبارك وتعالى) هذا معنى قوله (ويكون الدين

كله لله) لا تكون العبادة إلا لله (تبارك وتعالى) قال جل وعلا: ﴿ وَمِنْ عَائِيَّتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] ، قال جل وعلا عن الملائكة: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠] ، فدعاء الملائكة وطلب

الشفاعة منهم أو التقرب إليهم ليقربوك زلفى إلى الله كما يقول هؤلاء كذلك دعاء الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام وسؤالهم قضاء الحاجات وسؤالهم النصرة على الأعداء واستجابة الدعوات وإغاثة

اللفهات هذا كفر كله بالله (تبارك وتعالى) فالله جل وعلا قال: ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠] ، لا يمكن ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ [المائدة:

[١١٦] ، نزهه عليه الصلاة والسلام ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا

أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ

الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨] ، فالله (جل وعلا) هنا يخاطب رسوله عيسى عليه الصلاة

والسلام بقوله: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ وهو أعلم به عليه الصلاة والسلام لكن أراد بذلك أن

يقطع حجة هؤلاء المشركين من النصارى الذين اتخذوا عيسى عليه الصلاة والسلام الهاً ، تارة

يقولون هو الله ، تارة يقولون هو ابن الله ، وتارة يقولون هو روح القدس وثلاثة كيف أصبحوا

واحد ؟ ما يمكن أبداً ، وهذا يذكرني بالمبتدعة الذين يريدون أن يجعلوا أهل السنة ثلاث طوائف

تماماً ، قد ضمني ذات مرة لقاء مع بعضهم فقال أهل السنة ثلاث طوائف وكان قد تكلم في كلامٍ

بيننا على هذه القضية ان النصارى على ضلالة وأنهم لا عقول لهم إذ كيف يقولون: مرة الله ومرة

ابن الله ومرة روح القدس كيف يكون هذا ؟ قال هذا سفه وخاطب النصارى بذلك أيام هجمتهم

على المسلمين ، نصارى ايطاليا لما تكلم رئيس وزراء ايطاليا في ذلك الحين بعد ذلك وإذا به يقول:

أهل السنة ثلاث طوائف (الاشاعرة والماترودية وأهل الحديث) فقلت له: كيف أنت الآن قبل قليل

أنت تنكر أن تكون ثلاثة كيف صارت واحد ؟ فألان كيف صاروا واحد والنبى ﷺ يقول

((ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة))^(٢٧) الواحد مفهوم في لغة العرب واحد

(تبارك وتعالى) طلبوا منه إجابة الدعوات ، إغاثة اللفهات ، تفريج الكربات صلوات الله وسلامه عليه طلبوه منه وهذا الامر لا يقدر عليه الا الله (تبارك وتعالى) وقد أنكر فيما لا يقدر عليه إلا الله في حياته حينما قالوا: ((قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق قال: انه لا يستغاث بي))^(٢٨) ، فالشاهد هذا كله وإن سموه ما سموه هو شرك بالله (تبارك وتعالى) فهؤلاء مشركون على أي صورة كانت ، وقال في الصالحين غير الأنبياء وغير الملائكة: **قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْنَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾** [الإسراء: ٥٧] ، هذا في الصالحين تماماً الان تجد هذا في حاضر المسلمين واقعاً مشاهداً محسوساً ، وكنت مرة قد دخلت فندقاً من الفنادق في مدينة الرياض فلما دخلت رأيت برنامجاً في دخولي فاسترعايني ذلك وقعدت وكان هذا البرنامج تحقيق كما يقولون صحفي وإذا به في الحقيقة فضح لهؤلاء المشركين ورد على من يقول إن الشرك الساذج اختفى ، شرك القبور اختفى ما عاد بقي إلا شرك القصور ، يعني الحكام ، مناوشة الحكام هذا الشرك السياسي كما يسميه بعضهم وإذا بي أرى في هذا التحقيق ، انا والله نسيت ما هي المحطة لاني ما حفظتها نسيتها الان ، واذا به يوم مولد الشاذلي ورأيت أتباع هذه الطريقة التي هي الشاذلية أولاً رأيت

هؤلاء يأتي الرجل الأجرد منهم اجرد ليس عليه إلا ما يستر العورة ويأتون له بورك الصباغ هذا الذي فيه شوك ويأتون له بورك البلشومي (التين الشوكي) ، رأيت هذا بأم عيني ، يأتون بالورق هذه الكبيرة ويأتون بوجهه ويمررونه على هذا الشوك ويقولون انه لا يؤثره بركة سيدهم الشاذلي ، ثم رأيت عجباً مما استحبي أنا والله من ذكره في ماذا ؟ في هذا اليوم يوم مولد الشاذلي ، دعاء غير الله (تبارك وتعالى) وطلب قضاء الحاجات من غير الله (تبارك وتعالى) فيما لا يقدر عليه إلا الله (تبارك وتعالى) بعض ما سمعت لو كان هذا الشاذلي من خيار عباد الله حياً ما يقدر عليه ، فكيف به وهو ميت ثم بعد ذلك وإذا بهم يصفون صفين ويرقصون ويطلبون ويصفقون ويزمرون رجالاً ونساءً اختلاطاً والنساء مع الرجال بل لما رأيت هذا المنظر أنا قمت لان هذا المنظر أعقبه هذا الذي يمسح بوجهه على الشوك فيقول لا يضرك ، امرأة تجول وترتمي في أحضان الرجال وجاء بعدها هذا الخبيث الفعل الخبيث الذي يفعله هؤلاء وينادون ويهتفون باسمه ، وهذا في العام القريب الذي انصرم بل نحن لا نزال في آخر ذي الحجة لم ينصرم بعد في هذه السنة الهجرية في مولد الشاذلي ورأيت ذلك بعيني ، فمن يقول ان هذا الشرك الساذج وذاك هو الشرك الصحيح ؟ الان لو جئت باظلم الظالمين من الحاكمين تجد القلوب تكرهه لكن هذا الشرك القلوب تحب أهله وتتعلق به فشتان بين الحالتين لو تقول له افعل هذا وهذا في هذا الولي الذي يزعم هو انه ولي لما استطاع ان يتكلم به ببنت شفة ، وأما لو قلت له الحاكم الفلاني قال وقال لقرع وقرع حتى خرق طبلتي أذنك في الكلام فيه لا يخاف من هذا ولكن ذاك يخاف منه ، هذا لا يخاف منه لا خوف

العبادة ولا وخوف الطبيعة اما ذاك يخاف منه خوف العبادة ، نسال الله العافية والسلامة فهؤلاء

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] ، الأشجار والأحجار قال الله فيها:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۚ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ

ضَيِّقَىٰ﴾ [النجم: ١٩-٢٢] ، الشرك بالله (تبارك وتعالى) هذه الأشجار التي كانت تعبد من دون

الله (تبارك وتعالى) والعزى ، اللات ، والعزى ، وإساف ، ونائلة الى غير ذلك ، هبل الى غير ذلك

هذه كلها شرك اصحابها مشركون .

حديث ابي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلی الله علیه وسلم ونحن حدثاء عهدٍ بكفر وللمشركين

سدرة يعكفون عندها ، (يلتفون حولها وينوطون بها اسلحتهم) (يعني يعلقونها) يقال لها ذات أنواط

، فمررنا بسدرة ، مروا بسدرة أخرى فارغة ما عندها احد في الخلاء ، هذا في غزوة حنين بعد

فتح مكة حدثاء عهد بكفر ، أبو واقد رضي الله عنه يقدم هذا العذر بين يدي هذه الغلطة التي حصلت

وصحح فيها النبي صلی الله علیه وسلم الاعتقاد فقال: ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة ، يعني لو ساغ

هذا لساغ منا وعذرنا لاننا قرييين الان في الفتح وخرجنا ولما يستقر الايمان في قلوب بعضنا فلا

يزال عنده روااسب ، الشاهد يقول قلنا للنبي صلی الله علیه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ؟

فجعل طلبهم هذا عبادة كفعل أولئك والشاهد منه: ((اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات

أنواط^(٢٩) أرادوا أن ينوطوا بها أسلحتهم ، ويعلقوا بها أسلحتهم كما لاولئك ، لكن اولئك يعظمون فمشاهدة هؤلاء لهم يوقعهم بالحضور فقال النبي ﷺ: الله اكبر انما السنن قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اَجْعَلْ لَنَا اِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، قال لهم موسى : ﴿ اِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيْهِ وَنَظِلُّ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴾ [الأعراف: ١٣٩] ، فلما طلبوا أن تكون لهم ذات أنواط كما كانت لاولئك ذات أنواط جعله النبي ﷺ شركاً فقال: الله اكبر انما السنن قلت كما قال بنو اسرائيل (اجعل لنا الها) هل قالوا اجعل لنا اله ؟ لا قالوا اجعل لنا ذات أنواط لكن كما لهم (الكاف للتشبيه) فهذا وان لم يكن مثله من كل وجه لكن يشابهه في أكثر الوجوه فالنبي ﷺ كبر متعجباً من ذلك ، وهذا يا معشر الإخوة والأبناء يفيدنا شيئاً وهو:

١ - ان الانسان قد يقع في الشرك مع وجود الأسباب المانعة بين يديه ، هذا واحد قد يقع في الشرك مع وجود الأسباب المانعة منه بين يديه.

٢ - انه قد يشرك بكلمة فهنا رسول الله ﷺ بين ظهرانهم ومع ذلك قالوا ﴿ اَجْعَلْ لَنَا اِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ ، فهذا فيه رد على الذين يقولون: كيف تقولون إن الشرك في امة الإسلام ونحن فينا

القران ، وفينا العلماء ، وفينا كذا ، وفينا كذا ؟ لا ، هنا قالوا اجعل لنا الها ؟ لا ما قالوا اجعل لنا الها قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فالنبي ﷺ عده شركاً ، والنبي بين ظهرائهم حصل منهم هذا وهناك موسى ﷺ وهو بين ظهرائهم ولما يبعد العهد لا يزالون قريبي عهد بالنجاة من فرعون ومن معه: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ

فِيهِ وَبَطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩] ، فإذا كان حصل هذا الكلام الشرطي

والأنبياء موجودين ؟ فكيف بنا نحن وقد بعد العهد عن النبوة وقل القائم ببيان التوحيد وكثر الواقع في الشرك ؟ إن هذا يوجب علينا الحذر ويوجب علينا الحرص على نشر التوحيد وتعليمه وإذاعته بين الناس بكل وجه من الوجوه وفي الوقت نفسه هذا فيه إشارة إلى أن المرء يوبق نفسه بكلمة ، (اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) قال النبي ﷺ : قلت كما قالت بنو إسرائيل

، بنو إسرائيل بالصراحة قالوا: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ، هؤلاء ما قالوا اله ، قالوا

اجعل لنا ذات أنواط ، ولكن ذات أنواط المشركين إذا شابهتموهم فأنتم مثلهم ((من تشبه بقوم فهو منهم)) وهذا الحديث بعد ما حسنه الائمة وحسنه شيخ الاسلام قال: اقل أحواله الحرمة الشديدة بالتشبه في الكافرين هذا إن لم نقل بكفر من تشبه ، هذا ذكره شيخ الاسلام في اقتضاء

الصراط المستقيم وهو واضح (قلت والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل) ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا

كَمَا هُمْ ِلَهُ َالْهُةُ ۞ ، مع أنهم لم يقولوا بالصراحة اجعل لنا اله ، وإنما قالوا اجعل لنا ذات أنواط ، فانظروا أي شجرة يعكف حولها وتعظم فهي ذات أنواط كما كانت تلك عند الاولين نسال الله العافية والسلامة ، وهذا موجود الان في بلدان المسلمين ، يوم يطلعون علينا بتيس ، ويوم يطلعون علينا بثور ويوم يطلعون علينا بغار يوم يطلعون علينا بشجرة وهكذا كل يوم لابليس طرائق يصيد بها أربابه وأصحابه عياداً بالله من ذلك فيجب معشر الاخوة:

ان نعتني بهذا الباب وان نعلم الطرق التي توقع في هذه الشبكة المهلكة عياداً بالله من ذلك .

القاعدة الرابعة:

أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركوا زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة والدليل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ [العنكبوت: ٦٥] والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الشرح: الآن ختم المصنف رحمه الله هذه الخاتمة الجميلة التي هي أوضح ما تكون على بطلان كلام هؤلاء المشركين ، وهي أن الله جل وعلا أخبرنا عن المشركين مع شركهم أنهم على عقل ، يعني مع شركهم عندهم بقية عقل ، عندهم بقية عقل لأنهم يشركون في حال الرخاء لكن إذا نزل

البلاء أخلصوا العبادة لله تبارك وتعالى، توجهوا إلى الله بالدعاء وأقبلوا على الله يطلبون رفع ما نزل بهم والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ، نسوا الذي كان من الإخلاص فأشركوا في حال الرخاء وأخلصوا في حال الشدة ، أهل هذا الزمان ، المشركين في هذا الزمان ممن ينتسبون إلى الإسلام وللأسف ، يشركون في الرخاء والشدة ، إذا نزلت النازلة رأيت الشرك أوضح ما يكون وفي الرخاء هم واقعون فيه والعياذ بالله .

أقص لكم أيضاً قصة: كنتُ -أنا نسيت السنة لكن أنا سأذكرها لكم وأنتم تسمعون يعني تعرفون إن شاء الله تاريخها- كنتُ قد اعتمرت في سنة من السنوات -قريب -وجئتُ من مكة وقبل أن أصل المدينة بقرابة ثلاثين كيلو تقريباً أو أقل من ذلك ، هناك محطة استراحة اسمها الحمراء يعني بعد نقطة التفتيش الذين يذهبون إلى المدينة ، بعد نقطة التفتيش إذا خرجت من ذي الحليفة تأتيك نقطة التفتيش للحجاج والداخلين إلى المدينة ، يمكن بعدها بعشرة كيلو أو نحو ذلك أو أقل ، يأتي على اليمين ، على يمين الذهاب إلى جدة ومكة وعلى يساره إذا كان قادماً وفي الجزيرة الشبكية مدخل فهناك استراحة أسمها استراحة الحمراء فمررت هذه الاستراحة أنا وأولادي لتنعشني ، فبينما نحن نتعشني وإذا في هذا الجهاز ، هي جلسات في التلفزيون وكان معي في الرحلة جاري صاحب العمارة الأستاذ سهل شكري جزاه الله خيراً وحفظنا وإياه -كنا عائلتين -وإذا بهم يأتون بالسفينة

التي غرقت في البحر الأحمر في ذلك الحين بسبب الحريق الذي نشب فيها ، وإذا بي أرى بأمر عيني وأسمع بأذني الإستغاثة بغير الله أن ينجيهم ، بأذني سمعت ذلك ، وأنا أظن الآن لو يبحث الإنسان في هذه الشبكة يمكن يجد المقاطع الصوتية والمرئية لهذا ، وإذا بهم يدعون بالحسين وأظن البدوي وغيره وغيره بأن ينجيهم من الغرق !! فالمشركين هنا حكى الله عنهم وأخبر عنهم أنهم يقولون يا الله في حال ركوب الفلك ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ رِيحٌ طَبَّعَتْهُمُ فَغَارُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ ﴾ [يونس: ٢٢] ، هذا حال المشركين ، الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم ، جاءهم الهلاك دعوا الله ، هذا حال المشركين .

هؤلاء لما جاءهم الموت دعوا الحسين فهذا كلام أهل العلم قديماً وحديثاً والأدلة عليه من كلام ربنا الذي ليس بعده دليل ولكن من أنكر ذلك يجده في الواقع المشاهد المحسوس فحينئذ لا يستطيع أن يكابر فيه فعياً بالله من ذلك ، إذاً أهل الشرك من هذه الأمة أشد شركاً وأغلظ شركاً من مشركي قريش لأن مشركي قريش والعرب الأولين يخلصون في الشدة ويشركون في الرخاء واليوم يشركون في الشدة وفي الرخاء ويشتردون شركاً في الشدة ولما جاء التتار ودخلوا في بلاد الشام قال قائلهم:

يا عائذين من التتر ... لوذوا بقبر أبي عمر !!

ويُروى :عُودُوا بقبر أبي عمر ! يعني هذا المقبور لو تبقى تنبش قبره ما ملك لنفسه شيئاً ، ما رد عن نفسه فكيف يرد التتار عنك ؟ !وهذا مسطور .

يذكر الحازمي الشريف محمد بن ناصر الحازمي العلامة المشهور رحمه الله تعالى في إيقاظ الوسنان يذكر شيئاً من ذلك مدافعاً به عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وذاكراً شيئاً من شركهم بالله تبارك وتعالى وهو معهم في السفينة وهذا منصوص وهو من تلاميذ الشوكاني ، صديق حسن خان ذكر ذلك ، أبو شامة ، ابن القيم ، ابن تيمية كل هؤلاء من جميع المذاهب أصحاب المذاهب الأربعة ، أهل العلم والسنة والإيمان ينكرون ذلك ، فالشاهد قول المؤلف رحمه الله: إن مشركي زماننا أغلظ من المشركين الأولين لا نستكثره معشر الإخوة والأبناء وليس معنى هذا أنهم جاءوا به من عند أنفسهم وإنما سمعوا ذلك أو سمعوا به من الثقة فكان بمثابة السامع له بنفسه ولعلنا نكتفي بهذا وعنده نقف والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ترجمة الشارح	١
المقدمة	٣
القاعدة الاولى	٢٤
القاعدة الثانية	٢٨
القاعدة الثالثة	٤١
القاعدة الرابعة	٥٢